التقنيات السيميائية في سورة يوسف (عليه السلام)

Semiotic techniques in Surah Yusuf (peace be upon him)

م.د. ميساء طه خماس

أ.د. حسن عبد الهادي الدجيلي

الجامعة المستنصرية- كلية الآداب -قسم اللغة العربية

Prof. Dr.Hassan Abdul Hadi Al-Dujaili,

Dr. Maysa Taha Khammas.

Al-Mustansiriya University - College of Arts - Department of Arabic Language.

Email: dr.hasan.a@uomustansiriyah.edu.iq .dr.maysaal@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص :

للبعد السيميائي أثراً بيناً في تحديد الكثير من معالم التأمل الدلالي في سورة يوسف لهذا تعكزنا على البعد السابق سبيلاً لتنفيذ دلالة تأويلية مهمة من دلالات تأويلية أخرى يكتنزها الفكر العميق لهذه السورة ،وأسمينا هذا البحث المتواضع بـ : ((التقنيات السيميائية في سورة يوسف (عليه السلام))) ، وقسمناه على أربعة محاور ، هي : -الأول : مكانة سورة يوسف في الخطاب القرآني. المحور الثاني : المناهج الأدبية الحديثة ،والنص القرآني . المحور الثالث : المنهج السيميائي ،والنص القرآني . المحور الرابع : التقنيات السيميائية في سورة يوسف .

الكلمات المفتاحية: التقنيات السيميائية،الخطاب القرآني،المناهج الأدبية الحديثة،المنهج السيميائي،سورة يوسف

Abstract:

The semiotic dimension has a significant impact on the identification of many of the parameters of the semantic reflection in Surat Yusuf. This is why we have focused on the previous dimension as a way to implement an important interpretive connotation from other interpretive connotations of the Sura. We divided it into four axes:

The first section: the status of Surat Yusuf in the Qur'anic discourse.

The second section: the modern literary curriculum, and the Quranic text.

The third section: the Semiotic approach, and the Quranic text.

The fourth section: the semiotic techniques in Surat Yusuf.

Key Words: *Semiotic techniques , Quranic discourse , modern literary curricula , semiotic approach , Surat Yusuf*

التوطئة:

يبقى كتاب الله الخفق العام غير المتصل بجسم محدد يقيم الحياة في الكون من دون أن يقوى هذا الكون على رد جزء ولو باليسير إلى هذا الخطاب الإلهي العملاق، وفي كل يوم يكتشف المتلقي لهذا الكتاب العظيم أسراراً لا يمكن العثور عليها - وبأي شكل من الأشكال - خارج نطاقه، ولعل هذه الفسحة الواسعة للتأمل المعرفي التي خلقها خالق هذا الكتاب العظيم بين الخطاب القرآني، ومتلقيه هي التي أسست الكم الهائل من النتاجات الإنسانية حول هذا الخطاب قديماً، وحديثاً من : كتب للقراءات القرآنية، إلى كتب التفسير القرآني، وإلى كتب العلوم القرآنية، وإلى كتب القصص القرآنية .

وعندما ولد العصر الحديث تبلورت الكثير من المعارف التي نهضت بهذا العصر، ومن ضمن النتاجات إذ طورها، وعلاً من صروحها جاعلاً منها في أعالي ناطحات الخلود، وأوج فضاءات الجداريات الدائمة .

وتعد المناهج الأدبية الحديثة في مقدمة المعرفة الإنسانية الحديثة التي أفادت من تقنيات الخطاب الإعجازي، فأنتجت الكثير من الدراسات التي أعمدت منهاجاً أو أكثر من تلك المناهج أساساً لها .

ووجدنا للبعد السيميائي أثراً بيناً في تحديد الكثير من معالم التأمل الدلالي في سورة يوسف لهذا تعكزنا على البعد السابق سبيلاً لتنفيذ دلالة تأويلية مهمة من دلالات تأويلية أخرى يكتنزها الفكر العميق لهذه السورة، وأسمينا هذا البحث المتواضع ب: ((التقنيات السيميائية في سورة يوسف))، وقسمناه على أربعة محاور، هي: -

المحور الأول: مكانة سورة يوسف في الخطاب القرآني.

المحور الثاني: المناهج الأدبية الحديثة، والنص القرآني.

المحور الثالث: المنهج السيميائي، والنص القرآني.

المحور الرابع: التقنيات السيميائية في سورة يوسف.

المحور الأول: مكانة سورة يوسف في الخطاب القرآني.

الخطاب القرآني هو الجمال اللغوي الاعجازي في السرد القصصي لله تعالى لعباده، والذي لا يحدث إلا عن طريق اللغة، فقد ارتبطت اللغة بالنص القرآني مما اتاح لها أبعاداً وفضاءات أتاحت للخيال الإنساني، والعقلية التأثر به، واتباع ما موجود أو ما أراد الله له، والسمة الجمالية فيه أن النص الأدبي واللغوي مرتبطان معاً بإظهار ما يعجز عنه البشر في ادائه اللغوي، والتركيبي، والصوتي، والايقاعي، فهو سيميائية النص القرآني ومفاتيحه للمفاهيم الواسعة روحية كانت أم فكرية، مما يبني عليها النموذج الحي للتحليل النص القرآني في القرآن الكريم، والبنى الأساسية القيمة ببناء الحضارة الإسلامية منطلقة من جمالية مفهومنا للرؤى البيانية للقصص القرآنية في مفهومها الواسع التي يتجدد معناها بتجدد الحياة الإسلامية وتطورها عبر الزمن والعصور، فكلام الله عززت عن محاكاته عقول البشر؛ لأنه كلام منزل من الله تعالى ((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) (فصلت: ٤٤)، والخطاب القرآني هو " نص مكتوب ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة، ليست له بؤرة مركزية، وهو بلا بداية أو نهاية، يقبل تأويلات لا حصر لها " (ماضي، ١٩٩٧م، (من إشكاليات النقد العربي الجديد) ،صفحة ١٧)، أي هو " خطاب إلهي مطلق لا نهائي في (دواله / ألفاظه) ، و (مدلولاته / معانيه)، إنه من أكثر الخطابات إقناعاً وتعبيراً للحقيقة، وتفعيلاً للحدث، لا يدخله الخلل أو النقصان؛ إنه كلام الله " (الجودي، ٢٠١٤م، (جمالية الخطاب في النص القرآني) ،صفحة ٩٢)، واتخذ الخطاب القرآني القصة القرآنية أسلوباً للتأثير في المتلقي بإدائها الرائع المتمتع المؤثر المقنع الذي هو مقصد أساسي في الخطابات القرآنية، فالإقناعية هي استراتيجية القرآن بتوجيه المعاني القرآنية، والالفاظ توجيهاً اقناعاً توصيلياً مؤثراً من خلال تحديد الله في خطابه المفردات المستعملة تحديداً دقيقاً يفهمه المتلقي للمعنى الذي أراده الله أن يوصله له، فلا يعطي مجالاً للشك والتأويل

لمعنى آخر بجذب حواس المتلقي ، واستمالاته للقصة القرآنية بإعطائه صور ، وكلمات ، ومفاهيم مستقاة من واقعه الاجتماعي ، فالقصة القرآنية هي قوة ناعمة تلقي ظلالها في مواقف وسلوكيات تؤثر في المتلقي بما تحدثه من أثر نفسي نتيجة لما تعرض له من الاقناع والتأثر من القصة مما يؤدي الى الازعان والخضوع ، والانتقاد لإرادة الله وما يريده من البشر ، ومن المؤثرات القصصية التي استعمالها القرآن الكريم هي قصة يوسف (عليه السلام) لما لهذه القصة من الأثر الكبير ، والمعاني الانسانية التي رافقت هذه القصة ، إذ بدأت بحلم، وإن انتهت بحقيقة ، وبدايتها رؤية يوسف ، وتأمير أخوته عليه ، وفقد أبيه له ، وإغوائه من قبل امرأة عزيز مصر ، ونصر الله له بعد ما عاشه برؤية الملك ، وجعل يوسف (عليه السلام) اميناً على خزائن مصر ، وبشارة مجيء أهله لمصر ، وتحقيق رؤياه بقوله تعالى : ((وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)) (يوسف : ١٠٠)، وتتجلى أهمية سورة يوسف في الخطاب القرآني بأنها تصور مختلف العواطف ، فهي تظهر المريض الذي يشفى ، والغائب الذي يعود ، فضلاً عن إظهارها نظام الأسرة من علاقة الابن بأبيه ، والأخ بإخوته ، وإظهار طبيعة المرأة ، وأخلاق الملوك ، كما أنها عالجت نظاماً للدولة برؤية الملك ، وتحليل يوسف (عليه السلام) لهذه الرؤيا ، وما يطلب يوسف (عليه السلام) من الملك بقوله تعالى : ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)) (يوسف : ٤٣)، وتحليل يوسف (عليه السلام) للرؤيا بقوله تعالى : ((قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)) (يوسف : ٤٧ - ٤٩)، فهنا عالج نظاماً لو تتبعه الدول لنجت من أن تتعرض للمجاعة ؛ لأنه أثبتت الدراسات الحديثة أن لو ترك القمح في سنبله لبقى محفوظاً لمدة أطول (عبد العزيز ، ٢٠١٨) : (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) www.Quran-m.com/quran/article/27921) ، (القاضي ، ٢٠١٩ : (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة) www.Eajaz.org/index) . Php/scientific-miracles/medicine-and-life-sciences/251

فهو نظام للحفظ ، وتبدأ قصة يوسف (عليه السلام) مع الملك مصر برؤية الملك ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)) (يوسف : ٤٣) (الطبري ، ١٩٩٤م ، الصفحات ٤ / ٣٥٩ - ٣٦٠) (الزمخشري ، ١٩٧٧م ، الصفحات ٣ / ٢٨٨ - ٢٩٣) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م ، الصفحات ٥ / ٣١٤ - ٣١٩) (الرازي ، ١٩٧٨م ، الصفحات ١٨ / ١٥٠ - ١٥٢) (الشخيلي ، ٢٠٠١م ، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م ، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤) ، وتذكر رئيس السقاة لصاحبه في السجن الذي يفسر الرؤى ويحيلها بقوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ

خُضِرَ وَأَخْرَجَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)) (يوسف : ٤٥ - ٤٦), وما كان من رئيس السفاة بعدما سمع تفسير رؤية الملك أن يرجع مسرعاً فرحاً حتى حضر بين يدي الملك , قص عليه ما كان الملك ينتظره بعد أن اخذ الانتظار منه مأخذاً , فحكى له ما قاله يوسف (عليه السلام) للرئيس , فاعجب الملك بهذا التحليل , واحبّ يوسف (عليه السلام) لا لأنه أراحه بتحليل الرؤيا له ؛ وإنما وجد فيه الحكمة , والعقل , والرأي السديد الذي يمكن أن يستفاد منه في شؤون الحكم (الطبري ، ١٩٩٤م، الصفحات ٤ / ٣٦٠ - ٣٦١) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٩١ - ٢٩٢) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣١٤ - ٣١٩) (الرازي ، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٥١ - ١٥٢) (الشيخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤) ، و هي إذ إن من الله بالفرج أيضا ، البشرى تأتي ليوسف (عليه السلام) بطلب الملك بقوله تعالى : ((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ)) (يوسف : ٥٠) ، أي بيوسف (عليه السلام) ، فأراد أن يستفيد منه في الشؤون الاقتصادية ، وهنا تظهر حكمة الملوك (الطبري ، ١٩٩٤م، الصفحات ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٤) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٩٣ - ٢٩٤) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣١٩ - ٣٢٠) (الرازي ، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٥٤ - ١٥٦) (الشيخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤) ، فيذهب الساقى مسرعاً لينقل ما اراده الملك بقوله تعالى : ((فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)) (يوسف : ٥٠) ، ولما وصل إليه الرسول ، وطلب منه أن يخرج من السجن فتأني يوسف (عليه السلام) ، وطلب أن ينظر في التحقيق عما نسب إليه من إساءة اخلاقية (الطبري ، ١٩٩٤م، الصفحات ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٤) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٩٤ - ٢٩٦) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣٢٠ - ٣٢١) (الرازي ، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٥٥ - ١٥٧) (الشيخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤) ، فطلب من الملك أن يُظهر براءته بقوله تعالى : ((قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ)) (يوسف : ٥١) ، والنسوة هنا هنّ النسوة المصريات اللاتي دعتهن امرأة العزيز الى بيتها (الطبري ، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٦٤) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٩٥ - ٢٩٦) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣٢٠ - ٣٢١) (الرازي ، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٥٤ - ١٥٨) (الشيخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤) ، واحضرت لهنّ سكيناً ؛ لأنهنّ بدأن بالكلام عليها بأنها تراود فتاها بقوله تعالى : ((وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا)) (يوسف : ٣١) ، وما كان من امرأة العزيز أن طلبت من يوسف (عليه السلام) أن يظهر لهنّ ، فتعجبنّ من سحره وجماله مما أدى الى أن يقطعنّ ايديهنّ ، ويطلبنّ من يوسف (عليه السلام) الرضوخ لما طلبته امرأة العزيز ، والتماسهنّ العذر لها (الطبري ، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٤٨ - ٣٥٠) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٧٦ - ٢٧٨) (الطبرسي ، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣٠٤ - ٣٠٥) (الرازي ، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٢٩ - ١٣٠) (الشيخلي ،

٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤)، فإن كيدهنَّ عظيم بقوله تعالى : ((وَقَالَتْ اُخْرُجْ عَلَيَّهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ)) (يوسف : ٣١ - ٣٢) . وقد قدم الله سؤال النسوة ليظهر براءة يوسف (عليه السلام) عما اتهم به ، وسجن عليه ؛ وإنما أراد الله بهذه الآية الكريمة من تبرئة ساحة يوسف (عليه السلام) ؛ لأنه هياً له المكانة العالية التي سيأخذها بعد خروجه من السجن ، وحقد الحاسدين وتآمرهم عليه بتقبيح أمره عند الملك ، ويجعلوه سلماً الى تصغيره والخط من منزلته أمام الملك ، وتشويه سمعته عند الملك ؛ لأنه لو خرج قبل أن يعلم الملك ، والعزيز من شأنه لما زالت في نفسيهما الشكوك مما نسب إليه من مراودته لامرأة العزيز ، وطلب يوسف (عليه السلام) التحقيق فيه (الطبري، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٤٨٨ - ٣٥٠) (الزمخشري، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٧٨ - ٢٨١) (الطبرسي، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣٠٧ - ٣٠٩) (الرازي، ١٩٧٨م، الصفحات ١٨ / ١٣٠ - ١٣١) (الشيخلي، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤)، ومن هنا نجد دليل على أن الاجتهاد في أبعاد الظلم ، وإظهار الحق واجب ديني يرضاه الله ، ويحث عليه ، ومجيء البشري بظهور براءة يوسف (عليه السلام) ، واعتراف امرأة العزيز بقوله تعالى : ((قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ)) (يوسف : ٥١ - ٥٢) ، (الطبري، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٦٤) (الزمخشري، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٩٥ - ٢٩٦)، ومن هنا يظهر لنا الابداع القصصي في الخطاب القرآني ، إذ اشتملت على كل عناصر القصة الأدبية ، والمشاهد التصويرية من الشخصيات ، والحدث ، والزمان ، والمكان بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث ، وكأنها أحداثٌ ماثلة أمام ناظره تؤثر فيه بأسلوب فريد في الفاظه ، وتعبيره الممتع المؤثر ، فتظهر بلاغة الخطاب القصصي الإقناعي ، والتواصل بين الله وما يريده وبين المتلقي من تأثير نفسي ، ومن التأثير النفسي هو ما استهله الله تعالى في الآية الكريمة من رؤية يوسف (عليه السلام) فهي بمثابة مقدمة للشيء الذي يريد أن يبينه الله لعباده ، وأن يكون مفهوماً متعقلاً ، فهو احسن القصص بما يقصه الله تعالى للبشر ، فهي من انباء الغيب (الطبرسي، ٢٠٠٦م، الصفحات ٥ / ٣٢٠ - ٣٢١) (الرازي، ١٩٧٨م، ١٨ / ١٥٤ - ١٣١) بقوله تعالى : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) (يوسف : ٣) ، فبدأ القصة بقول يوسف (عليه السلام) ورؤيته بقوله تعالى : ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ)) (يوسف : ٤)، ف (يا أبتِ) هنا خطاب من الابن الى الأب استعطافاً واسترحماً وتذكيراً بالأبوة ، والشفقة وعناية الآباء بالأبناء ، وما بين هذه العلاقة من حقوق يجب مراعاتها ما بين الأبناء والآباء ، والوفاء بها ، فهنا ليست علاقة ابن بأبيه ؛ إنما علاقة متعلم لمعلم ، ونبي مرسل من الله (الطبري، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٣٠ - ٣٣١) (الزمخشري، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦)، وتبدأ القصة

بقص يوسف (عليه السلام) رؤياه لأبيه بقوله تعالى : ((يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) (يوسف : ٤) , فما كان من أبيه أن يطلب من يوسف (عليه السلام) بقوله تعالى : ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) (يوسف : ٥) , ففي هذه الآية يظهر لنا النظام الاجتماعي للأسرة وعلاقة الأخ بأخيه , والغيرة التي تنشأ بين الأخوة نتيجة تفرقة الأب في توزيع محبته على أولاده ؛ وسبب هذا الاختلاف في هذه المحبة يرجع الى أن يعقوب (عليه السلام) كان يعمل لدى أبو (راحيل) زوجة يعقوب (عليه السلام) الصغرى الذي أحبها حباً جماً , وكانت لـ (راحيل) أختاً كبرى اسمها (لِيئَةَ) , وكان يعقوب (عليه السلام) حينئذ يعمل لدى خاله (لابان) الذي هو أبو (راحيل وليئَةَ) , فوافق على زواجهما , وفي ليلة الزفاف فوجئ يعقوب (عليه السلام) أن التي تزوجها هي (لِيئَةَ) أخت (راحيل) الكبرى التي كانت تقل جمالاً عن أختها الصغرى , وكانت عيناها صغيرتين بينما كانت (راحيل) فتاة جميلة واسعة العينين شغف بها يعقوب (عليه السلام) حباً , فعاتب يعقوب (عليه السلام) خاله (لابان) على تزويجه الكبرى ولم تكن الصغرى , فأجابه الخال أن من العار في ذلك الزمن تزويج الصغرى قبل الكبرى , ووعد أن يزوجه الصغرى خلال سبعة أيام من تزويجه الكبرى ؛ لأنه في ذلك الزمن كان يحلّ الجمع بين الأختين , وكانت (لِيئَةَ) امرأة ولود عكس أختها (راحيل) التي كانت عاقراً , فولدت (لِيئَةَ) له ستة أولاد , وكان ليعقوب (عليه السلام) جاريتان اسمهما (زلفة وبلهة) قد ولدتا له أربعة أولاد , وكان لـ (لِيئَةَ) ستة أولاد , فأصبح مجموعهم عشرة أولاد (الطبري ١٩٩٤م ,صفحة ٤ / ٣٣٠ - ٣٣١) (الزمخشري ١٩٧٧م ,الصفحات ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦) , وهؤلاء هم ممن امتلكت انفسهم الغيرة والحقد من معاملة أبيهم ليوسف (عليه السلام) بقوله تعالى : ((إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) (يوسف : ٨) , أما (راحيل) فكانت عاقراً يمتلكها الحزن والأسى , فدعت الله أن يرزقها الذرية , فاستجاب الله لها , ورزقها بيوسف (عليه السلام) , وكان تربيته الحادي عشر من أبناء يعقوب (عليه السلام) , وبعده أخوه (بنيامين) , فكان هذان الابنات هما من أحب الأبناء عند أبيهم مما أدى الى تأمر الأخوة على يوسف (عليه السلام) (الطبري ١٩٩٤م ,صفحة ٤ / ٣٣٢) (الزمخشري ١٩٧٧م ,الصفحات ٣ / ٢٥٧ - ٢٥٨) , ومحاولتهم التخلص منه بقوله تعالى : ((اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)) (يوسف : ٩ , ١٠) , وفي هذه الآية الكريمة يظهر لنا الخطاب القرآني , وتأثيره في المتلقي , وتصوير المشهد , والحوار , والاتفاق الذي جرى بين إخوة يوسف (عليه السلام) , واختلافهم في ما بينهم في كيفية التخلص من يوسف (عليه السلام) , فبعضهم رأى بأن يقتل يوسف (عليه السلام) , والبعض الآخر رأى أن يذهب به الى أرض بعيدة ليتوه فيها , ولا يستطيع الرجوع أو تأكله السباع في تلك الأرض البعيدة , والرأي الثالث للأخوة هو أن يرموه في بئر عميقة بعيدة يأخذه بعض الناس فيمتلكونه , فلا يستطيع الرجوع الى أبيهم , وهنا تظهر العناية الإلهية بزرع الاختلاف في قلوب الأخوة , وإدارة الخطاب بينهم من قبل الله تعالى , والإعجاز

القرآني الذي يظهر من خلالها بتهيئة نفوس السامعين ؛ وسبب تصرف أخوة يوسف (عليه السلام) لهذا هو محاولتهم تفرقة يوسف (عليه السلام) عن أبيه ، والاستحواذ على محبة أبيهم لهم ، وهذه الآية هي تعبير عن الأخلاق السيئة التي تملأ النفوس ، ومحاولة التخلص من المزاحم الذي زاحمهم في حب أبيهم (الطبري ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٣٢ - ٣٣٣) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩)، وهنا نجد أكبر جريمة لاشتمالها على الحسد والحقد والغيرة ، والأضرار بالغير ، والتجاوز على أمر الله بقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق كما في قوله تعالى : ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (الأنعام : ١٥١) ، بالرغم من كونهم من أهل نبوة ، ونسبهم يصل الى إبراهيم (عليه السلام) جدهم الأكبر لكن في نهاية أمرهم ندموا على فعلتهم ، واصلح الله حالهم ، واستغفروا لذنبهم في قوله تعالى : ((قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)) (يوسف : ٩٧) (الشبخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤)، وسماهم (الأسباط) مثلما في قوله تعالى : ((وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَّمًا)) (الأعراف : ١٦١) ، وهنا نصل الى الخاتمة التي يدير الله بها خاتمة قصته ، وتهيئة الاجواء ، والنفوس بالتقاء يوسف (عليه السلام) بأبيه (يعقوب) (عليه السلام) بقوله تعالى : ((قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ)) (يوسف : ٥٩)، وبهذه الآية القرآنية يفتح الله لنبية (يعقوب) (عليه السلام) تساؤلات كثيرة ، واستغراب إذا ما وصلت إليه هذه المقولة ، فتجعله في حيرة من أمره ، واندھاش من هذا الرجل المصري المجهول الذي كان يعرف خبره ، وخبر أولاده جميعاً ومن ضمنهم ابنه (بنيامين) الذي دل عليه بقوله (بأخ لكم) (الشبخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤)، فقد أثار في نفسه الفضول للتعرف بهذا عزيز مصر ، وكيف وصلت أخبارهم إليه ؟ ، وما المغزى من سؤال العزيز ؟ ، وطلبه (بنيامين) أخيه الاصغر أن يأتيه لمصر ، ولم يجد نبينا (يعقوب) (عليه السلام) إلا استنتاجاً وحداً أن هذا عزيز مصر يعرف خبر ولده يوسف (عليه السلام) ، ويعرف أخبار أهله ، وعشيرته ، كأن هذه الآية هي رسالة مشفرة من يوسف (عليه السلام) الى أبيه ؛ لأن نبينا (يعقوب) (عليه السلام) يعلم من الله ما لا يعلمون (الطبري ، ١٩٩٤م، صفحة ٤ / ٣٧٣ ، ٣٨٣ - ٣٨٤) (الزمخشري ، ١٩٧٧م، الصفحات ٣ / ٣٠٧ - ٣١٩) مثلما في قوله تعالى : ((وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ)) (يوسف : ٦٨)، وقوله تعالى أيضاً : ((وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (يوسف : ٨٦)، وعليه فإن نفس (يعقوب) (عليه السلام) بدأت تحدثه أن هذا الرجل (عزيز مصر) إما أن يكون يوسف (عليه السلام) هو نفسه ، أو يعرف أين هو يوسف (عليه السلام) بقوله تعالى : ((يَا بَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (يوسف : ٨٧)، فالتحسس هي ادراك الاشياء المحسوسة ، والمرئية التي تدرك من خلال حواس الإنسان سواء الإبصار أو السمع أو الشم ، وكذلك مدارك الاحساس الأخرى التي وضعها الله في النفس البشرية ، وما دليل ذلك إلا أن يعقوب (عليه السلام) قد طلب من أولاده أن يذهبوا إلى مصر ، ويعملوا حواسهم جميعاً لإيجاد يوسف (عليه السلام) ، وأخيه (بنيامين) ، فروعة

الخطاب هنا تظهر في المراسلات والرسائل السرية ، والاشارات الخفية التي كانت تحدث بين يعقوب وابنه يوسف (عليهما السلام) ، والتواصل بينهما كان مستمراً عن طريق أخوة يوسف (عليه السلام) الذين كانوا ينقلون الكلام المرسل الى أبيهم من دون معرفة مغزى هذا الكلام ، والغاية منه ، وهم عبارة عن ناقلي الأخبار بين الأب وابنه ، وهذا هو ما امتاز به الله تعالى ، وروعة خطابه المنزل في كتابه القرآن الكريم الذي لا يقارن به بأي خطاب آخر ، وهو الأسلوب القصصي الذي اتبعه الله تعالى في خطابه مع عباده البشر ليتأثروا به البشر ، ويعملوا على اتباعه ، والأخذ من عبره وعظاته ، فالحسد والغيرة والحقد لا تولد إلا الدمار ، وضياح النفس البشرية (الشيخلي ، ٢٠٠١م، الصفحات ٥ / ٥ - ١٥١) (شحرور ، ٢٠١٢م، الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤)، ومهما طال الزمن فإن الله تعالى يظهر الحق ويزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً كما جاء في كتابه الكريم ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (الإسراء : ٨١) . إذاً الخطاب القرآني هو خطاب للعقل ، ومن ثم إلى القلب والروح والفكر ، لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، إذ تغلغل وأثر في كيان النفس البشرية قديماً أو حديثاً ، فهو خطاب للنفس يؤثر فيها ، ويعمل على ترغيبها أو ترهيبها ، وكان يأخذ من الحياة الواقعية إنموذجاً للقصصه الواقعية الملموس كالمرأة نموذجاً للبحث عن المؤثرات التي تحدثها شخصيتها التي وهبها الله أو ما تحدثه النفس البشرية ، وما زرعها الله فيها من خير أو شر ، فتعرف منها الكثير من الأسرار ، وتتوصل إلى الكثير من الروائع والإبداعات الإلهي ، فنشهد عظمة الخالق في كلامه وخلقه .

المحور الثاني : المناهج الأدبية الحديثة ، والنص القرآني .

المناهج الأدبية الحديثة ظاهرة علمية حديثة بامتياز، ونقصد من ذلك القانون الذي يتصور أي منهج من هذه المناهج بشكل متين يجعل من القانون نفسه كناية عن المنهج المراد إنتخابه لتحليل النص الإبداعي ، أو الإعجازي ، وفي الوقت نفسه يجعل من تغير القانون تحولا إلى منهج آخر ، وقد يتلاقح أكثر من منهج كناية عن وجود علاقة بين دلالة النص ، والإتحاد الجاري بين تلك المناهج .

وحيثما ظهرت هذه المناهج على صفحة الخارطة الثقافية للوطن العربي في بدايات ثمانينات القرن العشرين تحزب النقاد أمامها على حزبين كبيرين ، وكالاتي : -

١ - حزب أيد هذه الظاهرة حينما عدها ظاهرة إيجابية تستحق التشجيع ، والتطوير ؛ لأنها تتكيف وطبيعة النص العربي (بسيوني ، ١٩٨٣م، الصفحات ٢٢ - ٣٣) (حنقي ، ١٩٨٣م، الصفحة : ١١١)

٢ - حزب عارض هذه الظاهرة بحجة أنها ولدت في بيئة لا عربية تتناقض وطبيعة البيئة العربية (حسام ، ١٩٨٣م، الصفحة : ٦٨) (سامي ، ١٩٨٥م، الصفحة : ٢٢٢) ، بالإضافة الى أنها تأسست - في الغالب - لتحليل

النص النثري، والنموذج السائد في الخطاب الثقافي العربي هو النموذج الشعري (حسن، ١٩٨٦م، الصفحة : ٩٢) (جميل، ١٩٨٦م، الصفحة : ٢٢١) .

وحيثما استقرت هذه المناهج في فلك الخطاب الإبداعي، ظهرت نظرية جديدة حاولت تطبيق تلك المناهج على الخطاب الإعجازي - القرآن الكريم - ، فانشطر النقاد تجاه هذه النظرية إلى شطرين أيضا، وهما : -

١ - المعارضون للنظرية، وهم أكثر، وقد تبلورت جميع حججهم بقضية كون من المستحيل ربط دلالة النص الإعجازي بالنص الإنساني، فكيف يمكن أن يحكم الخاص العام، والمحدد اللامحدود، والمقيد المطلق (جابر، ١٩٨٤م، الصفحات ٧ - ١٠) (جمال، ١٩٨٤م، الصفحة : ٧٧) ، واستند هؤلاء في سبيل إثبات شرعية معارضتهم على الحديث الشريف - الشهير - : ((من قال في القرآن شيئا بغير علم فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) (حنبل، ١٩٦٦م، الصفحة ٢ / ٢٤٤).

٢ - المؤيدون للنظرية، وهم أقل من الشطر الأول، وحجتهم في ذلك : أن المناهج الأدبية الحديثة حينما ولدت في أوروبا كانت لخدمة النص العريق، وليس النصوص الهزلية، أملا في الوصول إلى نتائج واقعية، ومفيدة، في الوقت الذي كان تطبيق هذه المناهج على النصوص الإنسانية - العربية - هو للتوسع في دلالة النص المحدد الدلالة، وبالتالي فالنتائج المنطرحة من ذلك في أحسن صورتها نتائج شخصية إجتهادية، بينما القرآن الكريم على العكس من ذلك كله بالإضافة الى كونه يوسع من قوانين هذه المناهج بعد أن كانت محددة، أما ما يتعلق بالحديث الشريف - الذي أورده في الشطر الأول - فهو يخص طائفة محددة من القائلين في القرآن الكريم، وهم الفاقدون للخلفية العلمية، وهذا يعني أن من يمتلك خلفية علمية يجب عليه دراسة، وتحليل كتاب الله (سليم، ١٩٨٤م، الصفحة : ٤٨) (محمود، ١٩٨٥م، الصفحة : ٢٢) .

أما مفهوم هذه المناهج، وواقعها في كتاب الله فهو : -

١ - المنهج الأسلوبي [Stylistics] /

هو المنهج الذي يستند في تحليله للنص على ثلاثة مستويات، هي : -

١ - المستوى الصوتي [The voisy plane] :

وهو المستوى الذي يدرس الوحدات الدلالية المسموعة في النص، والتي تشمل : حروف البناء، والحركات، والمقاطع، والنبر، والإيقاع (Before the text : 65 , The image of image : 21 , The still : 44) . ويلتقي

هذا المستوى مع النص القرآني من بالإضافة الى علم القراءات القرآنية الذي يقوم أساسا على النظرية الصوتية أيضا،
مثلما جاء في القرآن الكريم ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (الأعراف : ٢٠٤) .

ب - المستوى التركيبي [The setupy plane] :

وهو المستوى الذي يدرس الجمل التي دخلت في النص من زاويتها الفنية العدولية، أو من وجهتها البلاغية (The
66 : Voicing & Eying , chapter : 11) .

ومن جملة ذلك : الإستفهام ، والشرط ، والنداء ، والتقديم والتأخير ، والوصل والفصل ، والإستثناء والعطف ، والعلاقة
بين ذلك والقرآن الكريم أن الدلالة القرآنية تقوم على علاقة النص بما قبله وما بعده ، أو علاقة الآيات القرآنية مع
بعضها البعض ، وارتباطها بالسورة نفسها (بركات، ١٩٩٩ م ، الصفحة : ٣٥ ، ، أحمد ، ٢٠٠١ م ، الصفحة : ٨٨) .

ج - المستوى الدلالي [The sensy plane] :

وهو المستوى الذي يدرس الدلالات الشاملة للنص ، وخصوصيات هذه الدلالات ، وقسم النقاد هذه الدلالات على
وفق الأنساق الآتية : -

- المعجم .
- التشبيه .
- الإستعارة .
- الكناية .
- التضاد .
- التورية . (Hieon ، ١٩٧٧ : ١١١) .

وعلاقة هذا المستوى مع القرآن الكريم أن كتاب الله دائماً يحتضن الدلالات الشاملة (سليم ، ١٩٨٤م ، الصفحة :
٤٨) .

٢ - المنهج البنوي [Structuralism] :

يهتم هذا المنهج برصد الثنائيات الموجودة في النص، وربطها مع بعضها البعض لاستخراج دلالة معينة تحكم النص كله (ينظر : Xocy، 88 : 2000) ،والثنائيات على أنواع، وهي : -

أولاً : الثنائيات التي هي جزء من النص [The text of bilaterales] :

وتقسم على ثلاثة أقسام، وهي : -

١ - الثنائيات المتحدة [The joinedes bilaterales] :

وهي التي تتألف من الثنائيات ذات الدلالة الواحدة، مثل : التكرار (ينظر : Markel، 23 : 1979)

ب - الثنائيات المتنافرة [The discordantes bilaterales] :

وهي التي تتألف من ثنائيات ذات دلالات متعددة، مثل : التضاد، والجناس، والتورية (ينظر : Markel، 1979 : 69) .

ج - مفردات ذات دلالات ثنائية [bilaterales words] :

وهي مفردة تحمل أكثر من دلالة، مثل : المشترك اللفظي، والكناية (ينظر : Keer، 21 : 1977) .

ثانياً : النص الثنائي [The bilateraly of text] :

وهو أن يكون النص كله واقعا ضمن ثنائية، الأولى : وهي الدلالة الظاهرة للنص، والثانية : وهي الدلالة العميقة للنص كله (ينظر : Xocy، 333 : 2000) .

٣ - المنهج التفكيكي - التشرحي [Deconstruction] :

وهو المنهج الذي يتعلق بنظريتين مزدوجتين، وهما : نظرية الهدم، ونظرية التشييد، فالهدم هو إلغاء لنظام البناء، والتشييد هو تثبيت ذلك النظام، وبين النظريتين يكمن تطور الدلالة التأويلية، والتي بدورها تنشطر حسب الخلفية الثقافية، فكلما كانت الخلفية الثقافية عملاقة كان التأويل عملاقا، وكلما كانت الخلفية الثقافية متواضعة يكون التأويل بسيطا (ينظر : Bearad، 55 : 1982) .

وقد طبقت هذه النظرية على مساحة شاسعة من النص الإنساني (ينظر : فهمي ، ١٩٩٩ : ٢٠) ، أما في النص القرآني فقد ظهرت مجموعة من الدراسات التي تناولت جزءاً ، أو بعض أجزاء هذا المنهج (ينظر : رونيويه ، ٢٠٠١ : ٤٤) .

٤ - المنهج الثقافي [The culcury method] :

وهو المنهج الذي يدرس كل الأسباب التي أدت إلى ولادة النص ، وهي كثيرة ، وأهمها :

- ١ - سيرة صاحب النص .
- ٢ - الجانب الاجتماعي الذي أدى إلى إنتاج النص .
- ٣ - الجانب التاريخي الذي أوجد النص .
- ٤ - الجانب الديني الذي كان سبباً لإنتاج النص .
- ٥ - طبيعة لغة النص .
- ٦ - التأثير والتأثير في النص .
- ٧ - الجانب الفني في النص .
- ٨ - الجانب الفلسفي في النص .
- ٩ - إنعكاس كل تلك الأمور على عملية التلقي (ينظر : T ، 56 : 1992) .

المحور الثالث : المنهج السيميائي ، والنص القرآني .

قبل الشروع بسرد العلاقة التي تربط المنهج السيميائي بالنص القرآني علينا معرفة دلالة هذا المنهج لنعلم كيف نستعمله في هذا البحث المتواضع .

فلقد تعددت تعريفات المنهج السيميائي ، وأشهر هذه التعريفات هي : -

- ١ - المنهج الذي يدرس العلامة في النص (ينظر : Mory ، 52 - 44 : 1993) .

- ٢ - المنهج الذي يهتم بإشارات النص، وأثر هذه الإشارات على عملية التلقي (ينظر : W، 88 : 1999) .
- ٣ - المنهج الذي يهتم بالتقاط رمزيات النص، ثم يعرض دلالات هذه الرمزيات (ينظر : Kartes، 89 : 2005) .
- ٤ - المنهج الذي ينظر إلى النص بمنظارين أو أكثر وليس بمنظار واحد (ينظر : سامي، ١٩٩٣، الصفحة : ٦٦) .
- ٥ - المنهج الذي يبحث عن الغيبيات الدلالية في النص (ينظر : ربيع، ١٩٩٩، الصفحة : ٧٨) .
- ٦ - المنهج الذي لا يعد النص بالمستوى الواقعي (ينظر : فهمي، ١٩٩٨، الصفحة : ٤٣) .
- ٧ - المنهج الذي يؤول سطح النص دائما (ينظر : Mory، 72 - 65 : 1993) .
- ٨ - المنهج الذي يحلل النص بالإتجاه غير المباشر (ينظر : Nive، 78 : 2007) .
- ٩ - المنهج الذي يحفر عميقا في النص (ينظر : T، 111 : 1992) .
- ١٠ - المنهج الذي يبحث في دلالات النص غير المرئية (ينظر : Mehoo، 14 : 1992) .
- ١١ - المنهج الذي يرى في ظاهر النص عدم الوضوح (ينظر : فهمي، ١٩٩٨، الصفحة : ٥٤) .
- ١٢ - المنهج الذي يرى في أبعاد النص الحقائق الأصلية (ينظر : سامي، ١٩٩٣، الصفحة : ٧٧)

وبهذا نستطيع القول أن المنهج السيميائي : هو المنهج الذي لا يهتم بالدلالة الظاهرية للنص ؛ وإنما هو يستعمل هذه الدلالة وسيلة للوصول إلى باطن النص الذي قد يحمل دلالة أو أكثر من دلالة .

أما علاقة هذا المنهج بالقرآن الكريم فوثيقة جدا من خلال ما يأتي :

- ١- الدلالة القرآنية صالحة لكل زمان ،ومكان ،ولمّا كان المنهج السيميائي جزءا من زمان ،ومكان معين ؛ ولذلك صلح أن يكون منهجا من مناهج كثيرة لدراسة النص القرآني .
- ٢ - وردت مشتقات (السيمياء) أكثر من مرة في كتاب الله (ينظر : البقرة : ٢٧٣ ، والأعراف : ٤٦ ، ٤٨ ، ومحمد : ٣٠ ، والفتح : ٢٩ ، والرحمن : ٤١) .

٣ - تعد المدرسة التأويلية أحد المدارس المهمة التي درست القرآن الكريم ،والتأويل سيمياء .

٤ - فسرت التفاسير القرآنية النص القرآني بأكثر من دلالة ،وهذه القضية هي قضية سيميائية .

ولهذا الأسباب ،وغيرها سندرس (سورة يوسف) ضمن المنهج السيميائي .

المحور الرابع : التقنيات السيميائية في سورة يوسف .

من يتأمل تأملا عميقا الخطاب الإعجازي في (سورة يوسف) يجده مشبع بالسيميائيات ،وحينما حاولنا التركيز على مركز السيمياء في السورة وجدناه لا يخرج عن أربع صور ،وهي : -

١ - صورة الرؤيا .

٢ - صورة الذنب .

٣ - صورة المراودة .

٤ - صورة السجن .

١ - صورة الرؤيا : -

تتشكل هذه الصورة بوساطة النص الذي يحددها ،وهو قوله تعالى : ((إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)) (يوسف : ٤) .

١ - رؤية التفسير التراثي لهذه الصورة : -

لم يذهب التفسير التراثي أبعد من تفسير هذه الآية بأن : العدد - ١١ - هو أخوة يوسف ،والشمس والقمر : أمه ،وأبيه (ينظر : الصنعاني ، ١٩٦٩ ، الصفحة : ٣ / ٢١١ ، الهواري ، ١٩٩٣ ، الصفحة : ٢ / ٢١١)

ب - رؤيتنا - المتواضعة - عن هذه الرؤيا : -

وتتألف من الأمور الآتية : تألف النص من ثلاثة أجرام سماوية ، وهي : الكواكب ، والشمس ، والقمر ، وقد جاء الترتيب بهذا الشكل - في رأينا المتواضع - لأن الكواكب أكثر وجودا في السماء ، والشمس والقمر مفردان ، ومن ثم تقدمت الشمس على القمر ، وسبب هذا التقديم - في رأينا المتواضع - ما يأتي : -

- النهار أهم من الليل ، لهذا تقدمت الشمس التي هي كناية عن النهار على القمر الذي هو كناية عن الليل
- الشمس أكبر من القمر ، فتقدم الكبير على الصغير .

وبالتالي فتلك الأجرام السماوية حينما كانت تؤلف كل السماء ، والسماء رمزاً للكون ، إذ كانت الرؤيا تلك بمثابة سجد الكون كله ليوسف (عليه السلام) كونه النبي المنتظر آن ذاك .

- ورد في التاريخ القديم أن الفراعنة ، وشعبهم عبدوا الكواكب ، والشمس ، والقمر (ينظر : فهمي ، ١٩٨٩ ، الصفحة : ٢ / ١٥٥ - ١٦٦ ، حلیم ، ١٩٩١ ، الصفحة : ٣ / ٤٦ - ٥٣) ، وبذلك فالرؤيا وحدت بين شكلية العبادة التي يعبدها الوثنيون ، وروحية الشفرة التي تحملها تلك المعبودات .

- يشكل العدد أحد عشر دلالة مهمة في كتاب الله من خلال وروده مرة واحدة فقط في آية الرؤيا السابقة (يوسف : ٤ ، وينظر : عبد الباقي ، ٢٠٠١ ، مادة (أحد عشر)) ، بالإضافة الى كونه يحقق دلالة التوحيد التي أشارت إليه الآية السابقة من خلال : -

- إنه عدد فردي ، والفردية تعطي دلالة الوحدة ، ومن ثم دلالة التوحيد .

- رسم هذا العدد يعطي صورة التوحيد من خلال كونه عبارة عن واحد مكرر .

- أشهر في مصر القديمة قراءة الطالع ، والمستقبل ، وكان ذلك بواسطة الإعتماد على الأجرام السابقة ، ولما كانت تلك الأجرام قد سجدت ليوسف (عليه السلام) ، فقد تحول القول في المستقبل إلى يوسف (عليه السلام) نفسه

٢ - صورة الذئب :

وردت هذه الصورة ثلاث مرات في سورة يوسف (يوسف : ١٣ - ١٤ و ١٧ ، وينظر : عبد الباقي ، ٢٠٠١ ، مادة (ذئب)) ، وهو الرصيد نفسه على مستوى كل القرآن (يوسف : ١٣ - ١٤ و ١٧ ، وينظر : عبد الباقي ، ٢٠٠١ ، مادة (ذئب)) ، إذ لم يرد هذا الحيوان في غير سورة يوسف في القرآن الكريم .

وكانت الآيات التي ورد فيها هذا الحيوان هي : ((قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب)) (يوسف : ١٣) ، و ((قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)) (يوسف : ١٤) ، و ((قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)) (يوسف : ١٧) .

ولم يرد في التفسير التراثي رأيا يحلل ما بعد ظاهر الآيات السابقة (ينظر : الطبري ، ١٩٨٢ ، الصفحة : ٣ / ٣٤٤ ، الزمخشري ، ١٩٧٧ ، الصفحة : ٣ / ٣٣٣) .

أما تأويلنا المتواضع على هذه الآيات ينطلق من الإستفهامات الآتية : -

- إذا كان الذئب غير موجود تماما في واقع الحال لماذا خاف يعقوب (عليه السلام) منه ، وخوف أبناءه - بالرغم من كون يعقوب (عليه السلام) معصوما - !!؟

- ما هو الحق في نظرية الذئب المفقودة شكلا من واقع القصة القرآنية - كون القرآن لا ينطق عن الهوى !!؟

الإجابة عن الإستفهامين السابقين - في نظرنا المتواضع - تكمن في الدلالات التي يحملها الذئب في الفكر الإنساني ، وعلى من إنعكست في واقع القصة القرآنية ، فالذئب حيوان مفترس ، كما أنه يمتاز بالخبث والخديعة ، وهذه الصفات هي صفات الأخوة في القصة الذين أرادوا بشكل أو بآخر إغتيال أخيهم ، لكن الذئب لا يغتال أخاه ؛ وبذلك فهو في هذه الحالة حيوان تدفعه غريزته للحفاظ على قيمة الاخوة التي قد غابت عن اخوة يوسف (عليه السلام) ، لهذا كان الذئب سيمياءً للأخوة أنفسهم .

ولقد وجدنا ثمة سيمياء معين يربط صورة الرؤيا بصورة الذئب ، وهو :

إذا كان الأحد عشر كوكبا سيمياءً لأخوة يوسف فقد تلاق ذلك مع الذئب الذي هو سيمياءً للأخوة أنفسهم أيضا .

ولما كانت الكواكب تنظر ليلا ، فالذئب لا يظهر إلا في الليل أيضا ، ودلالة السواد الذي يحمله الليل في كلا الصورتين يمثل قبح العمل الذي إقترفه الأخوة مع يوسف (عليه السلام) .

٣ - صورة المرادة :

من الواضح أن هذه الصورة في ظاهر حالها تبدو كأى عملية طبيعية ، الجانب السلبي منها سببه الرجل ، والإيجابي من قبل المرأة حينما قال تعالى : ((وراودته التي هو في بيتها وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون * ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه

السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيها سيدها لدى الباب قالت ما جزء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم)) (يوسف : ٢٣ - ٢٨) ، لكن واقع الحال يخالف هذا المعنقد بدليل (برهان الرب) (يوسف : ٢٤) الذي فسره المفسرون تفسيرات إجتهادية - في أكثرها - ولا علاقة لها بواقع القصة القرآنية (ينظر : الصنعاني ، ١٩٦٩ ، الصفحة : ٣ / ٢١٣ ، الهواري ، ١٩٩٣ ، الصفحة : ٢ / ٢١٥) ، والذي نراه في (برهان الرب) هو الرؤية المستقبلية التي كان يتمتع بها يوسف (عليه السلام) كونه نبيا إذ رأى مضار الفاحشة فعزف عنها ، وفي وضع آخر تمثل الهرب من امرأة العزيز إلى فتح الباب (يوسف : ٢٥) - ودخول النور - بعد أن حاولت امرأة العزيز مطاردته وسحبه إلى واقع الغرفة المغلقة الأبواب (يوسف : ٢٥) - والحفاظ على شدة العتمة - ، فتحول اللون الأسود القاتم الذي أرادت امرأة العزيز تحقيقه من خلال عملها المشين إلى دلالة اللون الأبيض الناصع من خلال دفع يوسف (عليه السلام) واقع الفاحشة إلى الحضيض .

وتلتقي صورة الرؤيا مع صورة الذئب مع صورة المرودة في تحقيق دلالة الذئب الذي مثله اللون الأسود - من سواد لون الليل للكواكب في صورة الرؤيا ، إلى سواد قبج عمل الأخوة مع امرأة العزيز في كل من صورتى الذئب والمرودة - لكن هذا اللون تماهى لونا أبيضاً ناصعاً برد فعل يوسف (عليه السلام) تجاه هذه الأفعال المشينة .

٤ - صورة السجن :

السجن الذي دخله يوسف (عليه السلام) يتمتع بسميائيات قد لا توجد في السجن التقليدي ، وذلك من خلال ما يأتي :

- من المعلوم أن السجن الذي دخله يوسف (عليه السلام) لم يكن لاقتراه ذنبا ؛ وإنما بعد أن برىء من هذا الذنب ، لكن التهمة هي لحفظ ماء وجه امرأة العزيز صاحبة الذنب الحقيقي - مثلما جاء في قوله تعالى : ((ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)) (يوسف : ٣٥) - ، ولهذا فالسجن هنا هو (سجن سياسي) بكل ما تعنيه هذه العبارة من دلالات .

- لقد كان يوسف (عليه السلام) يوجه صاحبي السجن إلى ماذا يأكلان من الطعام ، وماذا الذي لا يأكلانه - علّه يكون مسموما - بقوله تعالى : ((قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون)) (يوسف : ٣٧) - بسبب كونه معصوما ، وبذلك فالسجن هنا مدرسة فلسفية من الطراز الأول .

- لقد كان السجن المكان الأول لنشر دعوة يوسف (عليه السلام) - وذلك في قوله تعالى : ((يا صاحبي السجن أرباب متفرقون ام الله الواحد القهار * إلا أسماء لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآبائكم ما انزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)) (يوسف : ٣٩ - ٤٠) - حينما دعا صاحبي السجن إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام .

- لقد كان السجن مركزا لتأويل الرؤى بوساطة يوسف (عليه السلام) (يوسف : ٤٣ - ٤٩) ، وبالتالي وسيلة للحرية المطلقة حينما لم يخرج يوسف (عليه السلام) من السجن فقط ، ولكن أصبح مستشارا للملك أيضا (يوسف : ٥٥ - ٥٦) .

ونرى ثمة تعانق قد تحقق بين صورة الرؤيا ، والذنب ، والمرادة ، والسجن هو العدول الإجتماعي حينما أراد الطرف السيء تحقيق الأذى بيوسف (عليه السلام) ، إذ تحول هذا السوء إلى عمل عظيم بقدرة الله تعالى . وأخيرا فأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، هي : -

- ١ - روعة الخطاب القرآني من خلال انتصار الحق على الباطل ، وإن أمر الله يتحقق مهما بعد الزمن .
- ٢ - كانت صورة الرؤيا سيمياءً لخضوع الكون ليوسف (عليه السلام) كونه نبي الله .
- ٣ - مثلت صورة الذنب سيمياءً لفعل الأخوة السيء مع أخيهم يوسف (عليه السلام) .
- ٤ - حققت صورة المرادة إرادة الله في انتصار النبي يوسف (عليه السلام) على امرأة العزيز .
- ٥ - كان السجن مخالفا لطبيعته من خلال كونه معتقلا سياسيا ، ومدرسة للتأويل ، ومركزا للدعوة الإلهية .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم / المصدر الأول .
- ١ - المصادر والمراجع العربية : -
- أحمد بن حنبل، ١٩٦٦، مسند أحمد، دار التراث - بيروت، ط١ .
- أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ)، ١٩٨٨، تفسير النسائي، تحقيق : سيد الجليمي، وصبري الشافعي، مكتبة السنة - الرياض، ط١ .
- أحمد فهمي، سيمياء الشعرية النصية (مجلة دراسات سيميائية المغربية - ٢٤ - ١٩٩٨) .
- أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ٢٠٠٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، دار المرتضى، لبنان - بيروت .
- أيمن بركات، ١٩٩٩، النص القرآني ومساحات التأويل، دار الفكر - بيروت، ط١ .
- بهجت عبد الواحد الشخيلي، ٢٠٠١، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعراباً، وتفسيراً بإيجاز، الطبعة الأولى، مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية - عمان .
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ)، ١٩٧٧، الكشاف عن حقائق التنزيل في عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : دار صادر - بيروت، ط١ .
- جارلز رونويوه، ٢٠٠١، التفكيكية والنص المعق، ترجمة : د. سعيد حلمي، دار الفكر - بيروت، ط١ .
- حياة سليم، التشريحية من الألف إلى الياء، (مجلة الحياة الثقافية التونسية - ١٤ - ٢٠٠٤) .
- خالد جمال، ١٩٨٤، الوحدة الفنية في القرآن الكريم، الجزائر، ط١ .
- رانيا جميل، ١٩٨٦، الفكر الإبداعي النصي، دار الجمل - ألمانيا، ط١ .
- رغيد حسام، أوهام المعنى (مجلة الجامعة اللبنانية / ١٤ / ١٩٨٣)

- رمزيات النص المبدع / د . محمود فهمي / دار جمعة الماجد - دبي / ط ١ / ٢٠٠٢ .
- سمير سعيد، ١٩٨٥، آثار الأبلسة ،دار ابن سينا - بيروت ،ط ١ .
- شامل عبد المعطي، التفكيكية و مستقبلات الهدم المعرفي، (مجلة الآداب اللبنانية - ٢٤ - ٢٠٠٦) .
- شكري عزيز ماضي، ١٩٩٧، فن إشكاليات النقد العربي الجديد ،الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،لبنان - بيروت.
- الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، ١٩٩٤، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت.
- عادل ربيع، ١٩٨٤، دوال الإنتاج الفني ،دار الغد - بيروت ،ط ١ .
- عادل سامي، ١٩٩٣، سيميائيات الدلالات النصية ،تونس .
- عادل عبد المعين ،تلاحم الآيات والسور ،(مجلة الجامعة الجزائرية / ١٤ / ١٩٨٥) .
- عادل فهمي، ١٩٨٩، تاريخ مصر قبل الميلاد ،دار التراث - بيروت ،ط ١ .
- عائد سليم، ١٩٨٤، ملاحم الفلسفة القرآنية ،دار الفكر - بيروت ،ط ١.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١ هـ) ، ١٩٦٩، تفسير القرآن العزيز ،تحقيق : مصطفى مسلم ،مكتبة الرشد - الرياض ،ط ١ .
- علاء سامي ،كاتدرائيات النظام النصي ،(مجلة الفيصل السعودية / ١٤ / ١٩٨٥) .
- علاء فهمي ،معلقة امرئ القيس - دراسة تفكيكية - ،(مجلة العرب السعودية / ع ٢ / ١٩٩٩) .
- علي أحمد، ٢٠٠١، فضاءات التأويل القرآني تونس ،ط ١ .
- علي بسيوني، ١٩٨٣، فكر الإبداع ،دار الفكر - بيروت ،ط ١ .

- عماد حميد ، ٢٠١١ ، الدلالات التفكيكية في ألف ليلة وليلة ، دار الفكر - بيروت ، ط١ .
- عماد صقوت ، ١٩٨٩ ، قوانين التهشيم الدلالي ، دار ابن خلدون - بيروت ، ط١ .
- الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) ، ١٩٧٨ ، التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ .
- كارل كورنيه ، ٢٠٠٨ ، إشعاعات النص ، ترجمة : غانم أحمد ، دار التربية - بيروت ، ط١ .
- كمال سرحان ، ٢٠٠٠ ، النص والنص الآخر ، دار الحداثة - بيروت ، ط١ .
- كمال غالب ، ١٩٨٤ ، المناهج الأدبية الحديثة وسيل التأويل ، الدار البيضاء ، ط١ .
- كمال يونس ، ٢٠٠١ ، شعر الصعاليك - دراسة تفكيكية - ، دار الفكر - بيروت ، ط١ .
- كميلة حسن ، جداريات التفاعل ، (مجلة الآداب اللبنانية / ع ٢ / ١٩٨٦) .
- ليلي حنقي ، ١٩٨٣ ، دوائر النص ، دار الآداب - بيروت ، ط١ .
- ماجد حسني ، ٢٠١٠ ، النص المتضمن ، دار الفكر - بيروت ، ط١ .
- محمد بن جرير الطبري (٣١١ هـ) ، ١٩٨٢ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث - بيروت ، ط٢ .
- محمد شحرور ، ٢٠١٢ ، القصص القرآني قراءة معاصرة ، الطبعة الأولى ، دار الساقى للنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت .
- محمد فؤاد عبد الباقي ، ٢٠٠١ ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث - القاهرة ، ط١ .
- مرفت حلیم ، ١٩٩١ ، تاريخ فراعنة مصر ، دار الفكر - بيروت ، ط١ .
- منى معين ، ألوان الدلالة الإبداعية (مجلة الآداب اللبنانية - ع ١٤ - ٢٠١٢) .
- مي حسني ، أفلاك تحليل الخطاب القرآني ، (مجلة جامعة الإسكندرية / ع ٢٤ / ١٩٨٥) .

- نوال محمود، ١٩٨٥، الحدث الإعجازي في الخطاب القرآني، دار الغد - بيروت، ط١ .
 - نورا أحمد، ٢٠٠٤، البعد التشريحي في بردة كعب بن زهير، دار النهار - بيروت، ط١.
 - هادي ربيع، ٢٠٠٦، الثقافة المتشضية، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١ .
 - هناء جابر، ١٩٨٤، مناهج تحليل النص القرآني، دار الفارابي - بيروت، ط١ .
 - هود بن محكم الهواري (٢٩٩ هـ)، ١٩٩٣، تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : بلحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١ .
 - هيفاء ربيع، مابعد ظاهر النص، (مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٤ - ١٩٩٩) .
- ٢ - المصادر والمراجع الأجنبية :

After the writing London : 1992.

Deefoo Kartes : Maleazia : 2005After the masge : .

: Ronee Jake : Roma : 1982Before the text .

T . S . I : U . S . A : 1992. Culcure of culcure :

Lured Markel1975 The culture of opening:: London : .

: U . R . T : U . S . A : 1979. The image of image

Roshe Keer : Roma : 1977. The philosophic of windows :

Zecoo Xocy : 2000. The reader & the reading :

:Toom Roperto : 1995The reading & after the reading: Roma .

Musku : 2007The reading goldy :Wold Nive : .

: Gorge Mory: 1993. Semantek in the poetry: al : sweede

Witer Clean: 1996. Sombole of somble : Roma

Toore Hieon : 1977 The still :: London .

Zory Hony: 1999. The text,s languge :: London

Quty Goon: 1997. The texts home :: London

Raoter Bearad 1982The text's wrecked :: Jerman :

W . A . L : 1999 . The twice eye in the reading :: London

E . P . S : Madread : 1989. Voicing & Eying :

:U . R . : 2015. S the writing faire : London

٣ - المواقع الإلكترونية :

- أ - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

.www. Quran – m . com / quran / article / 27921

- ب - الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة .

www. Eajaz . org / index. Php / scientific – miracles / medicine – and life